

# صور الليل في الشعر العربي خلال العصر العباسي

د. عامر نايفه الهيتي

## صور الليل في الشعر العربي خلال العصر العباسي

مدخل: مفهوم الصورة الشعرية ووظيفتها شغل النقاد القدامى والمحدثين وما زال البحث

قائما في ميدانه لتحديد مفهومها وابرار قيمتها الفنية.

والصورة الشعرية بمعناها العام (تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان مع معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها)<sup>(1)</sup> ويتخذ الشاعر من الصورة وسيلة للتعبير عن تجربته وفي (نقل فكرته وعاطفته معا الى قرائه او مستمعيه)<sup>(2)</sup> معتمدا في ذلك على اسلوب التجسيد لا التصريح (لان الصورة الفنية تركيبية عقلية تنتمي في جوهرها الى عالم الفكرة اكثر من انتمائها الى عالم الواقع)<sup>(3)</sup>.

من هنا فان ابداع الشاعر يعتمد على الصورة التي ينسجها خياله وما يضيف عليه من شعوره وتصويره وما يحس به احساسا صادقا يؤدي الى الانفعال والنفاز الى معان انسانية وجمالية ليصوغها بصياغة مؤثرة تحرك العواطف (فاول خطوة في خلق الصورة هو ان يقرب الشاعر نفسه الى الاشياء التي تستهوي حواسه)<sup>(4)</sup> وبالنسبة الى معاني الليل، فقد ابداع الشعراء في تصويرهم لها، فالليل يرتبط بحياتهم وهو ملاذ همومهم ومعاناتهم فجاءت صورهم لليل مؤثرة تحاكي مشاعرهم. وقد خلق بعض الشعراء وبخاصة اصحاب الادب الرفيع عالما من خلال استعانتهم بوسائل التصوير الفني. وقد كانت صورة الليل ملهمة للشعراء في وحدتهم وانسهم في همومهم وافراحهم.

والليل هذا الزمن المعروف كان يمثل لكثير من الشعراء على مر العصور رمزا للمعاناة والشقاء لانه يستثير بوحشته وصمته وظلامه الحالك الكئيب الالمهم واحزانهم وهمومهم اذا ما اصابهم حادث او الم بهم كرب او فقدوا عزيزا، فتبوح السننهم بأصوات باكية شاكية تعبر عما في نفوسهم من هموم واحزان بحرية لا يعكر صفوها شيء.

وقد وجد الشعراء منذ الجاهلية في الليل ملاذا امينا للتصريح بما تبيح مشاعرهم، فأطلقوا العنان لخيالهم لأبداع مختلف الصور الشعرية المعبرة والمجسدة لمعانيه.

ولعل اكثر ما يرهق الشعراء ويكون باعنا لاحزانهم وهمومهم الاحساس بطول الليل وبطئ ساعاته وبخاصة عند من هذه الارق وتواردت عليه الهموم، فأبدع الشعراء في رسم صورهم لطول الليل عليهم ملتفتين الى الاساليب البلاغية من استعارة وتشبيه وطباق وجناس يستمدون منها ما يعينهم على رسمها. فيظل الشاعر يتطلع الى انقضاء ليله بحيرة وبأس والم وارق ينتظر بزوغ الفجر ليس حبا فيه وانما تخلصا من حصار الهموم طوال الليل.

ويطالعنا في عصر الشعر العربي الاول رائد الشعراء في وصف الليل الطويل

المتقل بالهموم امرؤ القيس في قصيدته البائية التي يقول فيها(5) :-

وليل كموج البحر ارخى سدوله  
فقلت له الا ايها الليل الطويل  
على بانواع الهموم ليبتلي  
الا انجلي بصبح وما الاصبح منك

بأمثل

فقد رسم الشاعر صورة تشبيهية لليل الطويل فشبه الليل المثقل بالهموم بموج البحر مستعيرا للبحر معنى الاستار حين تسدل، فالتشبيه هنا رمز الهموم والمعاناة جسده الشاعر بصورة الليل الطويل. وقد مضى الجاهليون والاسلاميون بعده يتناولون هذا المعنى وقلما اضافوا اليه اضافة جديدة حتى اذا اطل العصر العباسي فأخذه وتناوله بطرق مختلفة تدل دلالة بينة على دقة العقل العباسي وقدرته على التعليل، يقول عنه شوقي ضيف:- (نجده عنده توليدات وتشعيبات للمعاني التي طرقها القدماء لا تكاد تحصى مع محاولة الاطراف والاتيان بالمعنى المبتكر والصورة البديعة)<sup>(6)</sup>. ولنقف قليلا عند معنى طول الليل الذي وقف عنده امرؤ القيس في قوله<sup>(7)</sup>:-

فيالك من ليل كأن نجومه      بكل مغار الفتل شدت ببذبل

فهو يتصور نجوم الليل لطوله الشديد على الهموم كأنها سميرت فهي لا تريم. اخذ هذا المعنى بشار واداه في معارض جديدة فقال<sup>(8)</sup>:-

خليلي ما بال الدجى ليس يبرح      وما بال ضوء الصبح لا يتوضح  
اضل الصباح المستتير طريقه      ام الدهر ليل كله ليس يبرح

انه خيال زاخر بالحركة والصورة البديعة، فقد تحول الدهر ليلا مظلم لا اخر له.

اما ابن الرومي فقد استطاع ان يرسم لنا صورة ليليه مستخدما اسلوب التشبيه حيث يقول<sup>(9)</sup>:-

رب ليل كأنه الدهر طولا      قد تنامى فليس فيه مزيد

ذي نجوم كأنهن نجوم الشيب      ليست تزول لكن تزيد

فالشاعر استطاع من خلال أداة التشبيه في تمثيل احساسه ومشاعره فغدا ليله دهرا

متاهيا والشاعر هنا لا يقتصر في استخدام التشبيه الحي بين عناصر متشابهة حسيا وانما

يلتمس الصلاة النفسية الخصبة بين هذه العناصر بغية خلق صورة ذات بعد ايحائي، فالنجوم بلونها الابيض تبدو دائمة وتكثر كالشيب الذي لا يزول بل يزيد.

اما السري الرفاء الشاعر الوصاف والفنان الرسام فهو (كثير الافتتان في التشبيهات والالوصاف)<sup>(10)</sup> يجد ان الليل يملك عليه حسه فيصفه بالطول وحين يببت ساهرا ليله الطويل مرهق الاعصاب مورقا، تترأى له الثريا في صورة الكف التي تقيس الظلام فيقول<sup>(11)</sup>:-

الارب ليل بت ارعى نجومه      فلم اغتمض فيه ولا الليل انمضا  
كأن الثريا راحة تشبر الدجا      لتعلم طال الليل ام قد تعرضا  
عجبت ليل بين شرق ومغرب      يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

فليله طويل لا ينقضي والثريا فيه تتحرك ببطيء كأنها راحة تشبر الظلام نظرا لظلمته مفصحا عن تأزم وضعه وكدر صفوه ويبدو ليله في صورة اخرى طويلا شديد السواد لا يدع حجابة مجالا للرؤية فيقول<sup>(12)</sup>:-

وليل رحب الباع مد رواقه      على الافق حتى خيل في حلتي تكلى  
يقيد الحاظ العيون حجابه      كأن بصير القوم من دونه اعمى  
لقد وقف الشاعر في رسم صورة ليله الطويل الذي خيم سواده فشبهه برداء المرأة التكلية التي تتوشح السواد، وهو ما عرف بالتجسيد عند البلاغيين فقد خلع الشاعر صفات مرئية على الليل وبث الحياة والحركة فيه حين جعل الليل وشاحا ترتديه امرأة تكلية، ثم جاء بصورة اخرى حين شبه الليل بالحجاب الذي يحجب الرؤية لدرجة ان الانسان البصير من دونه اعمى لا يرى. فالتشبيه اداة الشاعر في رسم الصور والتعبير عن التجربة الشعورية

اذ انه (وسيلة ضرورية يتوسل بها الشاعر ليبين لنفسه حقيقة التجربة التي يعانيتها ويوضح الجوانب الخفية منها)<sup>(13)</sup> ويرتبط الليل بالهموم كثيرا عند الشعراء ولذلك فقد جد الشعراء في تصويرهم له بثتى المعاني ليظهروا اثره في نفوسهم لان (طول الليل او قصره يقدم لنا وصفا ضمنيا لحالة الشاعر النفسية)<sup>(14)</sup>.

فالتهامي تبدو صورة الليل عنده دائمة، وهو في نظره مقيم بأبى ان يبارح ظلامه لتظل معها نفسه تقاسي الهموم والالام في ساعاته الطويلة فيقول<sup>(15)</sup>:-

ويبدو الليل طويلا عند الشاعر سبط ابن التعاويذي الذي فقد نور عينيه بعد ان تجاوز الخمسين من العمر فصبحه لا يسفر فيقول<sup>(20)</sup>

يالك من ليل حجا      ب جنحه معتكر  
ظلامه لا ينجلي      وصبحه لا يسفر  
مافي حياة معه      لذي حصاة وطر

واطول الليالي ليالي الشعراء العاشقين، فقد ظلت المرأة هاجسا ونجوى مكررة في اشعارهم وضمأ دائما في مخيلتهم حتى اذا برحت بهم الاشواق وهيجتهم ذكريات الحب والامه تحولوا الى الليل يشكون اليه مصرحين بما يعانون من الوجد والهيام مصورين ليلهم بصورة تعكس احساسهم. فهذا بشار يعود مرة اخرى الى التفكير في معنى طول ليل العاشقين لتتكون له صورتان جديدتان لا تقلان عن طرافة تصويره لطول الليل اذ يقول عن نفسه وقد بات ليلة مسهدة اثر فراقه لاحدى صواحيبه<sup>(21)</sup>:-

كأن جفونه سلمت بشوك      فليس لو سنة فيها قرار

اقول وليلتي تزداد صولا      اما لليل بعدهم نهار

جفت عيني عن التغميض حتى      كأن جفونها عنها قصار

انها صورة نلمس فيها الجدة والطرافة تدلل على ما وصل اليه العصر . ولم يكتف الشاعر  
بهذه الصور لمعنى طول ليل العاشق وما يطوى فيه من السهر بل نجده يعمد الى العلل  
المستورة والصور البارعة لطول ليل العاشق، فالليل لا يطول انما هو السهر والسهاد  
الطويل الذي يخيل اليه كأن الليل يطول والليل مظلوم فيقول(22):-

لم يطل ليلى ولكن لم انم      ونفى عني الكرى طيف الم

وقد اجاد ابو نؤاس في تصويره لليل المحب حيث يقول(23):-

اطال قصير الليل يارحم عندكم      فان قصير الليل قد طال عندنا

ومن يعرف الليل الطويل وهمه      من الناس الا من تتجم او انا

ويأخذ هذا المعنى الشاعر العاشق العباس بن الاحنف فيصوره بصورة تعكس  
معاناته وهيامه، فالظلام راكد والنجوم حائرة وهي حيرة الشاعر - وتبدو كالاغمى الذي  
ليس لديه قائد فيقول(24):-

لما رأيت الليل سد طريقه      عني وعذبي الظلام الراكد

والنجم في كبد السماء كأنه      اغمى تحير ما ليديه قائد

ناديت من طرد الرقاد بصدده      مما اعالج وهو خلو هاجد

الفيث بين جفون عيني حرقة      فالى متى انا ساهر يا راقد

ويستحضر هذا المعنى الشاعر خالد الكاتب فتتكون لديه صورة لليل المحب الذي يبدو

طويلا لا نهاية له فيقول(25):-

رقدت ولم ترث للساھر وليل المحب بلا اخر  
ولم تدر بعد ذهاب الرقا د ما صنع الدمع في ناظري

اما الوأواء الدمشقي فقد اخذ هذا المعنى، فهو قد برح به الشوق لاحتبه فخطب

الليل الذي اسهده بطوله فقال(26):-

اما لتطويل هذا الليل تقصير من شفه الشوق في شكواه معذور  
بان الحبيب فالمامي به لم بعد البعاد وزوراتي له زور

فقد استطاع الشاعر في صورته لليل العاشق ان يضيف مسحة جمالية من خلال

استخدامه للطباق والجناس بين تطويل وتقصير، ولمم وزوراتي وزور.

اما سعيد بن حميد فيبدو ليله ابديا ليس له غد بسبب بعد الحبيب الذي لو لقي الذي

يلقاه لقصر ليله فيقول(27):-

ياليل ما بك يا ابد انائم عنك غد  
ياليل لو تلقى الذي القى بها او تجد  
قصر من طولك او ضعف منك الجلد  
اشكو الى ظالمة تشكو الذي لا تجد  
وقف عليها ناظري وقف عليها السهد

وغالبا ما تقرن الام ومعاناة الشعراء بالبكاء حالما يتذكرون قسوة الحبيبة وجفاءها

وغرهما، لذا يطول بكاء الشاعر المنتبى على حبيبة عندما يتذكرها حتى لیتساوى مع

الليل في طوله فيقول(28):-

حكيت ياليل فرعها الوارد فاحك نواھا لجفن الساهد  
طال بكائي على تذكرها وطالت حتى كلاكما واحد



ما بال هذه النجوم حائرة كأنها العمى مالها قائد

وقد عكس الشاعر حيرته واضطرابه بعد جفاء الحبيب من خلال رسمه صورة النجوم الحائرة التي بدت لناظره بالاعمى الذي فقد القائد مستغلا طاقة التشبيه في عرضه المعنى.

ومن المعاني المشتركة لليل عند الشعراء أنهم يقرنون قصره بالمحبوب دائما بينما يصورونه ابطاً ما يكون بمسير ساعاته عليهم وكأنهم في ذلك يريدون ان يقدموا الدليل على شدة هيامهم ووجدهم بأحبتهم، فهذا الشاعر علي بن بسام يقول في هذا المعنى<sup>(29)</sup>:-

لا اظلم الليل ولا ادعي ان نجوم الليل ليست تغور  
ليلي كما شاءت تجد طال وان جادت قليلي قصير

ولنقرأ نظير هذه الصورة عند (كشاجم) الذي وجد في الطباق والجناس ما يعينه على رسم صورة ليله حيث يقول<sup>(30)</sup>:-

ينام ليل اسهره واشكوه ويشكره  
وليل الصب اطوله على المعشوق اقصره

وهذا التقابل بين الليل وقصره على العاشق من هجر الاحبة وجدناه عند الشريف الرضي الذي يتألم من وطأة الليل وتقله بطوله وقصره لانه معذب القلب بين الهجر والوصل موزع النفس بين الارتواء والعطش فقال<sup>(31)</sup>:-

اشكو ليالي غير مقيدة اما من الطول او من القصر  
طول في هجركم وتقصر في الوصل فما نلتقي على قدر

باليلة كاد من تقاربها يعثر فيها العشاء بالسحر

وقد شخص الشاعر الليل فجعله بهيئة انسان ومنحه صفاته فجعله يعثر بها كالانسان. ويبدو الليل قصيرا حتى عند (سيدوك الواسطي) كلمح البصر حين جمعه رداء الشمل مع الاحبة ولكنه بدا له الهجر طويلا حتى ليتصور ان ليله دائم لا صبح له فقال<sup>32</sup> :-

عهدي بنا ورداء الشمل يجمعنا      والليل اطوله كاللمح بالبصر  
فالان ليلي مذ غابوا فديتهم      ليل الضرير فصبحي غير منتظر

فقد عمد الشاعر الى الصور المجازية حين شبه ليله بليل الضرير الذي لا فرق بينه وبين الصباح.

ويلتفت الى هذا المعنى السري الرفاء في رسم صورة لليلة مع هجر الحبيب فيبدو فيها متقلب الحال فيقول<sup>(33)</sup> :-

غضبان ينساني واذكره      وينام عن ليل واسهره  
وكفى الهوى لو كان مكتفيا      ما رحت اضمره واطهره

فقد التفت الشاعر الى التقابل بين ينساني واذكره وينام واسهره واضمر واطهره في رسم صورته لليلة مع حبيبه الذي يهجره. ان المحب دائم السهر في الليل ويبقى في نجوى مع نجومه فيقول السري الرفاء الذي تغنى كثيرا بالطبيعة ومنها النجوم<sup>(34)</sup> :-

ابيت الليل مرتفقا اناجي      بصدق الوجد كاذبة الاماني  
فتشهد لي على الارق      ويعلم ما اجن الفرقدان

وهي صورة جميلة للمحب الذي يقطع ليلة يراقب النجوم. اما ابو فراس الحمداني  
الذي عانى من الاسر وطول الليل فانه يتساءل عن سبب بقاء كواكب ليله التي تأبى  
المغادرة مستعيرا افعال الانسان للفرق فيقول<sup>(35)</sup>:-

ما بال ليلي لا تسري كواكبه      وطيف (عزة) لا يعتاد زائده  
من لا ينام فلا صبر يؤازره      ولا ميال على شحط زاوره

فالشاعر استعان بالاستعارة على التشخيص مستعيرا لوازم الانسان وافعاله الى  
غير الانسان وهو بذلك يضيف قوة على معانيه ويمنح خياله عمقا.

وقد تبدو صورة الليل جميلة عند الشعراء العاشقين، فهاهم يصفون على ليل الاحبة  
صورة طيب وصفاء النجوم بلقاء الاحبة فيتمنون ان لا تنقضي فهذا الشاعر عوف بن  
محم الخزاعي يبدو ليله طيبا بلقاء حبيبته فيقول<sup>(36)</sup>:-

وليلتنا طابت وطاب بها الهوى      الى ان بدا او كاد منسلخ الفجر  
فما عدلتها ليلة ذات نعمة      ولا ليلة الاضحى ولا ليلة الفطر  
اذا هي قيست بالليالي وجدتها      يكاد يساوي فضلها ليلة القدر  
تمليتها حتى الصباح بطفلة      مصورة ابهى من الشم والبدر  
وقد ابداع شعراء التجديد في العصر العباسي في رسم صورهم لليل الجميل الذي

قضوه مع الاحبة حتى انهم يتمنون ان لا تنقضي ساعاته فهذا ابن المعتز يقول<sup>(37)</sup>:-

ياليلتي بالكرخ هل من مزيد      ان لم تدومي هكذا لي فعودي  
لا استطيع الليل من بعدها      ياحبذا الليل وطول السهود

اما ابن بشام فانه يتذكر ليااليه الجميلة التي قضاها في وطنه وما فيها من متعة لقاء

الاحبة فيقول(38):-

وكانت بالعراق لنا ليال سرقناهن من ريب الزمان  
جعلناهن تاريخ الليالي وعنوان المسرة والاماني  
وهذا ابو العلاء المعري الشاعر الضرير يشدو بذكريات ليلة طريفة له فيضفي

عليها صورة جميلة فيقول(39):-

رب ليل كأنه الصبح في الحسـ من وان كان اسود الطيلسان  
قد ركضنا فيه الى اللهو لما وقف النجم وقفه الحيران  
وكأنني ما قلت والبدر طفل وشباب الظلماء في عنفوان  
ليلتي هذه عروس من الزنـ سج عليها قلاند من جمان  
هرب النوم عن جفوني فيها هرب الامن من فؤاد الجبان

نقد ابداع الشاعر في صورته لهذه الليلة وما تخللها حتى بدت ليلته في ناظره عروسا

من الزنج، فشبها بفتاة زنجية زينت جبهها بعقد من الجمان وهي النجوم.

ويستحضر طيب الليل مع الاحبة والمتعة فيه الشاعر (ابو الشمقمق) حيث يقول(40):-

لياينا بالطف اذ نحن جيرة واذ للهوى فينا ومن وصلنا ازب  
لياالي تسعى المدامة بيننا بنات النصارى في قلاندها الصلب

ومن الصور الجميلة التي اضفاها الشعراء على ليل الاحبة هي صورة طيب الليل

والممتعة العفيفة بلقاء الاحبة وهذا ما عبر عنه ابن نباتة السعدي بقوله(41):-

هل تذكرين العهد ليسة ليلة حمد العفاف صنيعكم وصنعي  
صفت النجوم الى المغيب ولم تتل غير الحديث وقبله التوديع

اما الشريف الرضي فانه سار يحصي دروب الارض ومسرى الكواكب ملبيا ارادة  
القلب التي تجعل المشتاق قمة في القوة وكذلك قمة في المغلوبية، فكل ذي شوق مغلوب،  
وان كان متفجرا بالقوة فكانت مشية الشريف الرضي تقحما لليليه فيقول(42):-

ثم قطعت الليل في مهمه لا اسدا اخشى ولا ذيبا  
يغلبني شوقي فاطوي السرى ولم يزل ذو الشوق مغلوبا  
ومن المعاني التي تناولها الشعراء لليل وطوله على الانسان حين يغترب عن وطنه  
ويبعد عن احبته فتخيم عليه الاحزان والاشجان ويشعر بالوحدة في وحشة الليل بعد فراق  
الاحبة فيجفوا النوم عينه فيقول الشاعر(43):-

الاهل على الليل الطويل معين اذا نزلت دار وحن حزين  
اكابد هذا الليل حتى كأنما على نجمه الا يغور يمين  
فوالله ما فارقنكم قاليا لكم ولكن ما يقضى فسوف يكون  
ويلتفت الى هذا المعنى شاعرا اخر نأى عن وطنه مغتربا في مدينة (صول) راسما  
صورة لليله الطويل يكابد الغربة فيقول(44):-

في ليل صول تناهى العرض كأنما بالليل موصول  
لافارق الصبح كفي ان ظفرت به وان بدت غرة منه وتحجيل  
لساهر طال في صول تمللمه كأنه حية بالسوط مقتول  
متى ارى الصبح قد لاحت مخايله والليل قد مزقت عنه السراويل  
ليل تحير ما ينحط في جهة كأنه فوق متن الارض مشكول  
نجومه ركد ليست بزائلة كأنما هن في الجو القناديل

ويطول ليل الغريب الذي به الدار فيبدو ليله طويلا فتارة يناجي النجوم التي يجد

فيها سلواه او يخاطب الطيور لتواسيه فيقول الشاعر(45):-

تطاول هذا الليل بعد تقاصر      وليل اخي البلوى عليه طويل

وغرد قمري على فرع ضالة      له بين افنان الغصون هديل

ولابي نؤاس في هذا المعنى صورة جميلة حيث يقول(46):-

تطاول ليلي بالحجاز ولم ازل      وليلي قصير امن الغدوات

فيا حبذا بر العراق وبحرها      وما يجتنى فيه من الثمرات

ويرتبط الليل بالزمن ولذلك نجد الشعراء شبهوه لطوله بالدهر وبخاصة عند من

نأت به الدار وفارق الاحبة، فلننظر الى قول (ابي الرقعمق) الذي تغرب في تنيس(47):-

ليلي بتنيس ليل الخائف العاني      تفنى الليالي وليلي ليس بالفاني

اقول اذ لج ليلي في تطاوله      ياليل انت وطول الدهر سيان

لم يكف اني في تنيس مطرح      مخيم بن اشجان واحزان

حتى بليت بفقدان المنام فما      للنوم اذ بعدوا عهد باجفاني

فالليل جزء من الطبيعة التي امدت الشعراء بادوات كثيرة لرسم صورهم الجميلة،

فقد امدهم بخيال خصب في تشبيهاتهم فالشاعر تمثل بالتشبه في رسم صورة لمعاناته من

طول الليل فتشبه له بالاسير الخائف الذي اعينته الحيلة، فكان هذا الليل الذي لا يفنى بنظر

الشاعر ككل الليالي قد تساوى له مع الدهر في وطأته وبطئه ساعاته ليجعل من صورته  
اكثر بلوغا وتأثيرا في النفوس، ناهيك عن صورة ليل الخائف الذي لا يعرف طعم النوم.  
ولايعني الليل عند الشعراء ليل الظلمة فقط انما يمثل الغربة والعزلة والوحدة ايضا، وانتقل  
واطول ما يكون الليل على الانسان البعيد المغترب عن وطنه واهله واحبته وفقدان  
حريته، حينئذ يجد في عتمة الليل ووحشة الباعث على الهموم التي تهيج في صدره وتبعث  
الاسى في نفسه، فلننظر الى ابي فراس الحمداني الذي عانى غربة الاسر يرسم صورة  
لليلة وحاله فيقول(48):-

ياليل ما عقل عمابي      حبائبي فيك واحبابي  
ياليل نام الناس عن موجه      ناء على مضجعه نابي  
هبت له ريح شامية      مدت الى القلب بأسباب  
ادت رسالات حبيب لنا      فهمتها من بين اصحابي

اما الشريف الرضي فانه يرسم صورة الليل وهو يعاني من الغربة بوطنه الذي  
استوطنه الاعاجم فيقول(49):-

ليلي ببغداد لا اقر به      كأنني فيه ناظ الرمد  
ينفر نومي كان مقتله      تشرح اجفانها على ضممد

لقد استطاع الشاعر من خلال هذه الصورة التشبيهية الافصاح عن مشاعر الالم والحزن والمعاناة فحدا به ذلك الى تشبيه نفسه بالانسان المصاب بالرمم الذي لا يستطيع النوم.

ومن الصور الجميلة التي رسمها الشعراء هي صور ليل الشاعر صاحب الطموح والذي انقلته الهموم بسبب العجز في تحقيق مطامحه، فيبقى الليل يمثل لاصحاب المطامح هاجسا ثقيلًا ذلك انه ملجأ الهموم، فالمتنبي صاحب الطموح الكبير الذي امتلك نفسا ظامنة الى المجد والشرف وطلب العلى فعاش معذبًا بين الطموح والعجز وبين الوسيلة والغاية<sup>50</sup> لان (اكثر الشعراء شكوى اكثرهم ظمًا وفخرًا وسعيًا الى المجد)<sup>(51)</sup> فيها هو يشكو طول الليل وحوادث الدهر الذي يعاند راسما صورة لحاله وهو يصارع الهموم فيقول<sup>(52)</sup>:-

اعزمي طال هذا الليل فانظر	امنك الصبح يفرق الايوبيا
كأ، الفجر حب مستزار	يراعي في دجنة رقيبيا
كأن نجومه حلي عليه	وقد حذت قوائمه الجيوبيا
كأن الجو فأسى ما اقاسي	فصار سواد فيه شحوبا
اقلب فيه اجفاني كاني	اعذبه على الدهر الذنوبا
وما ليل باطول من نهار	يظل يلحظ حسادي مشوبا



والمتنبي نجده عنده فكرة الزمن تقترب بمفردات مثل الليلي فيرتقي من خلالها الى مستوى المواجهة والتحدي وهو صاحب مقدرة على انتزاع الصور الاكثر تعبيراً او اشدها محاكاة لواقعه فيقول(53):-

اهم بشيء والليالي كأنها      تطاردني عن كونه واطارد  
اود من الايام ما لا تود      واشكو اليها بينا وهي جنده

فقد شخص الشاعر الليلي وجعلها فارسا يطارده فيطاردها وهذه المعاني تتضمن جوانب الصراع ساجلا بين الشاعر ومتاعب الوصول للمجد وتحقيق الطموح: وتبرز خصال القوة عنده في رفضه الاستسلام لليلي التي رسم لها صورة عدو فيبدو في مواجهتها فارسا فيقول(54):-

ومابلغت مشيئتها الليلي      ولا سارت وفي يدها زمامي  
اذا امتلات عيون الخيل مني      فويل في التيقظ والمنام

والشريف الذي لا يقل طموحا وسعيا الى المجد عن المتنبي غير انها تختلف بكونها اقرب الى الواقع(55)

فانه يثور حين يجد الليلي تحول دون تحقيق مطامحه في الوصول الى السلطة وطرد الاعاجم، فالليل رمز من رموزه، فالشاعر حين يعجز عن التصريح يلوذ بالرمز تعبيرا عن سياقات اوسع من دلالاته. فها هو يصور الليلي على انها تغالبه عن حقه مشخصا لياليه بهيئة عدو فينسب اليها صفات الانسان فيقول(56):-

نغالب ثم تغالبنا الليالي      وكم يبغي الرمي على النبال

والشريف الرضي يبدو فارسا يصارع متيقظا وبيده رمحه فيقول (57):-

الى كم اشق الليل عن كل مهمه      وارعى طلوع النجم حتى مغيبه

ان الشريف الرضي الهادر الذي ينطوي صدره على شرف رفيع وكرامة عظيمة  
كان يعرف مقامه وكان يسير في الزمن وكأنه يخفي مقامه الحقيقي عنه لانه متوجه نحو  
غايته الكبرى فيقول مصورا لليالي بصورة انسان يعرفه بنفسه اما هو فيأنف ان يعرف  
بمكانه وهو المكان الرفيع الذي يسعى لتحقيقه فيقول (58):-

تعرفني بانفاسها الليالي      وانف ان اعرفها مكاني

ويلتفت الى هذا المعنى السعدي وهو يعاني الذل بسبب غلبة الاعاجم فتبدو ليالیه

طويلة يقطعها ساهرا يبحث عن اهل الحجى الذين يرفضون الذل والهوان فيقول (59):-

ولا مثل ليل بالعراق سهرته      افتش عن اهل الحجى كل ناسم

يخيل كأن النجوم اسنة      ينهنه عنها البرق سل صوارم

وان الكرى سهم الى كل مقلة      ترقرق فيها والردى طيف حاكم

كأن الدجى مالت عليه كتنبيه      فتيه من احواله كل نائم

ان الشعراء يرمزون الى طلوع الفجر بصياح الديكة، لذلك كانوا يترقبون ذلك على

مضض مصرحين بتقل الليل وهمومه عليهم فهم في امل بانقشاعه فيقول الصنوبري (60):-

أعد عيني من السهر      أعد قلبي من الفكر

ومن ليل طويل لا      يبيح الطول بالقصر  
اقول اذ اکتسى ليلي      ثياب الغيم والمطر  
وتاه الطرف في ليل      بلا نجم ولا قمر  
اما لليل من فجر      يضيء لاعين البشر  
اما الديك من خبر      اما للديك من اثر

وهذا السري الرفاء الشاعر الذي يعد رائدا لمدرسة الوصف في القرن الرابع الهجري<sup>(61)</sup> يلجأ في صورته لاطلالة الفجر التي تؤذن بانتهاء الليل الطويل الى اسلوب التشبيه فيقول<sup>(62)</sup>:-

وانظر الى الليل كيف تصدعه      راية صبح مبيضة العذب  
كراهب حن للهوى طربا      فشق جلبابه من الطرب

فقد اعطانا الشاعر صورة جميلة لبزوغ الفجر وانكفاء الليل حين عرض بزوغ الفجر بصيغة احساس تمثل بولوج الهوى في قلب الراهب وهو المشبه به فشق جلبابه الاسود (الليل) فيان البياض (وجه الشبه) محاولا انتزاع هذا اللون من لون اخر (اسود). فنراه هنا لم يستعمل الالوان بعينها وانما عبر عنها بمنظر الراهب الذي يرتدي السواد وهكذا نراه يعود اليه مرة اخرى في وصفه له فيقول<sup>(63)</sup>:-

والفجر كالراهب قد مزقت      من طرب عنه الجلابيب

وقد عد البلاغيون هذين التشبيهين من غريب التشبيهات في أسلوبهما واختراعهما)

(64)

ويكون الليل ثقيلًا في أيام الصيف، فقد تكثر الحشرات تحت جناح الليل فتسبب قلقًا لراحة الإنسان وحرمانه من لذة النوم ولذلك وصف الشعراء ليلهم بصور تعكس قلقهم فقال السري (65):-

وليلة من نفحات الدهر      قطعتها نزر الكرى والصبر  
مكلم النحر جريح الصدر      مقسما بين اعاد وخزر

وغالبا ما يسهب الشعراء في عكس مشاعرهم تجاه ما يثير المهم فالليل الحار يشعرهم بالجهد والارق كما هو في قول الصابي (66):-

وليلة لم اذق من حرها وسنا      كأن من جوها النيران تشتعل  
احاط بي عكر للبق ذو لجب      ما فيه الا شجاع فائك بطل

اما الليلة الباردة فكانت هاجسا مخيفا للشاعر التتوخي حيث يقول (67):-

وليلة ترك البرد البلاد بها      كالقلب اشعر بأسا وهو مثلوج  
فان بسطت يدا لم تتبسط قصرا      وان نقل لي فيه تتلج

وهكذا يتضح من النماذج التي عرضناها لمعاني الليل وصوره ان الليل كان باعثا وملهما للشعراء فاضفوا عليه صورا جميلة تعكس احساسهم، وهذه الصور لم تكن مثار الاسى والحزن والهموم فحسب بل كان منها ما يعكس الاشواق والذكريات والسعادة.

الهوامش

1. الصورة في الشعر العربي: 30
2. اصول النقد الادبي: 242
3. التفسير النفسي للادب: 66
4. الصورة الشعرية: 76
5. الديوان: 18
6. تاريخ الادب العربي / العصر العباسي الاول / 153
7. الديوان: 19
8. الديوان: 4/2
9. الديوان: 562/2، الالمالي 101/1
10. السري الرفاء (حياته وشعره): 336
11. الديوان: 346/2
12. المصدر نفسه: 1 / 213
13. الصورة الفنية في التراث النقدي: 15

14. الزمن عند الشعراء قبل الاسلام: 273
15. الديوان: 127
16. شعر الخباز البلدي: 34
17. المصدر نفسه : 26، نهاية الارب في فنون الادب: 135/1
18. الديوان: 116
19. الامالي: 100/1
20. الديوان: 482
21. الديوان: 249/3
22. المصدر نفسه: 320/3
23. الديوان: 52/2
24. الديوان: 378/1
25. الامالي: 100/1
26. الديوان: 112
27. الامالي: 101/1
28. الديوان: 175/2
29. الامالي: 100/1
30. الديوان: 225
31. الديوان: 18/1
32. يتيمة الدهر: 371/2
33. الديوان: 420/2
34. المصدر نفسه: 516/2
35. الديوان: 52/2
36. طبقات الشعراء: 185
37. شعر ابن المعتز: 69/2
38. الديوان: 260
39. سقط الزند: 94
40. طبقات الشعراء: 81
41. الديوان: 216/2
42. الديوان: 137/1
43. الامالي: 99/1

- .44 المصدر نفسه: 99/1  
.45 الامالي: 76/1  
.46 الديوان: 64 /2  
.47 اليتيمة: 310/1  
.48 الديوان: 52/2  
.49 الديوان: 301/1  
.50 وحي الرسالة: 282  
.51 المنهل في الادب العربي: 24  
.52 الديوان:  
.53 المصدر نفسه  
.54 المصدر نفسه  
.55 الحماسة في شعر الشريف الرضي: 131  
.56 الديوان:  
.57 المصدر نفسه  
.58 الديوان: 537/2  
.59 الديوان: 39  
.60 الديوان: 212/1  
.61 المصدر نفسه: 213/1  
.62 غرائب التشبيهات: 55  
.63 الديوان: 142/2  
.64 معجم الادباء: 74/2  
.65 اليتيمة: 339 /2

#### المصادر

- 1- اصول النقد الادبي، احمد الشيباب، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1973.
- 2- الامالي، ابو علي القالي، دار الفكر للطباعة والنشر.
- 3- تاريخ الادب العربي، العصر العباسي الاول، شوقي ضيف، ط6، المعارف 1973.
- 4- تاريخ الادب العربي، العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، ط6، المعارف 1973.
- 5- التفسير الفني للادب: عز الدين اسماعيل/ دار العودة بيروت.
- 6- ديوان ابي الحسن التهامي: تح: محمد بن عبد الرحمن الربيع ط1: مكتبة المعارف، الرياض 1820.
- 7- ديوان ابي فراس الحمداني: سامي الدهان: بيروت 1944.
- 8- ديوان ابي نواس: تح: احمد عبد المجيد الغزالي: دار الكتاب - بيروت.
- 9- ديوان ابن الرومي: تح: حسين نصار، دار الكتب القاهرة - 1973.
- 10- ديوان ابن نباتة السعدي: تح: عبد الأمير مهدي، دار الحرية بغداد 1977.
- 11- ديوان امرئ القيس: تح: ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف - مصر 1958.
- 12- ديوان بشار بن برد: تح: محمد الطاهر بن عاشور، لجنة التاليف والترجمة القاهرة: 1967، ط2.
- 13- ديوان السري الرفاء: تح: حبيب حسين الحسني: ط1: دار السلام بغداد 1977.
- 14- ديوان سبط بن التعاودي: تح: مرجليوت. طبع المقتطف - القاهرة 1903.
- 15- سقط الزند: المعري: دار صادر، بيروت 1963.
- 16- ديوان الشريف الرضي: دار صادر - للطباعة: بيروت 1961.
- 17- شعر الخباز البلدي: جمع وتحقيق: صبيح رديف: ط1، مطبعة الجامعة - الموصل 1973.
- 18- ديوان الصابي، شعر ابن المعتز: تح: يونس السامرائي، دار الحرية بغداد 1978.
- 19- ديوان الصنوبري: تح: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1970.
- 20- ديوان العباس بن الاحنف: دار صادر - بيروت 1970.
- 21- ديوان كشاجم: تح: خيرية محمد محفوظ: دار الجمهورية بغداد: 1970.
- 22- ديوان الواواء دمشقي: تح: سامي الدهان طبع المجمع العلمي العربي - دمشق 1950م.



- 23- الزمن عند الشعراء قبل الاسلام: عبد الاله الصائغ، دار الشؤون الثقافية بغداد 1958.
- 24- السري الرفاء (حياته وشعره) حبيب الحسني: ط1، دار السلام بغداد 1975.
- 25- شرح ديوان المتنبي - البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- 26- الصورة في الشعر العربي - علي البطل، ط2 - دار الاندلس للطباعة، 1981.
- 27- الصورة الشعرية - سي.دي.لويس: ترجمة احمد نصيف الجنابي واخرون: دار الرشيد للنشر بغداد 1982.
- 28- الصورة الفنية في التراث النقدي: جابر احمد عصفور، دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة 1974.
- 29- طبقات الشعراء - المحدثين لابن المعتز: تح: احمد عبد الستار فراج، دار المعارف - القاهرة.
- 30- غرائب التنبهات على عجائب التشبيهات: ابن ظافر الازدي، دار صادر، بيروت.
- 31- الفن ومذاهب في الشعر العربي: شوقي ضيف، ط2، لجنة التأليف والترجمة - 1945.
- 32- المنهل في الادب العربي: شوقي ضيف، ط2، لجنة التأليف والترجمة - 1945.
- 33- ومن وحي الرسالة: احمد الزيات: ط7، مكتبة النهضة، القاهرة: 1962.
- 34- يتيمة الدهر: للثعالبي تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط2، دار الفكر للطباعة - بيروت، 1973.